الملك تشارلز الثالث

تبدأ المسرحية بموت الملكة إليزابيت الثانية، ويرث الأمير تشارلز العرش، ولكنه يضيع في وهج أمه، ثم عندما يستعيد توازنه، ويمارس قناعاته من خلال رفض مسودة قانون يحدد من حرية الصحافة السليطة اللسان والفضائحية يُفاجأ برفضٍ جماعي من البرلمان، فيتصلب ويقرر حل البرلمان فيغضب عليه الناس ويصبح الأمر في أعينهم مفاضلة بين من يأتي بالوراثة ومن هو منتخب ديموقراطياً، وتصبح الملكية نفسها مهدَّدة. وهنا يتبلور خبث كيت زوجة الأمير وليام فتؤلب زوجها ضد أبيه وتقنعه هو وأخاه هاري بمواجهة والدهما وإجباره على التنازل عن المُلك لوليام وتهديده بهجرهما له إذا رفض، فيضطر إلى الموافقة ويتنازل عن العرش.. كل هذا على ما يبدو والشخصيات لا تزال ترتدي الأسود الحدادي ومراسم التتويج المعروفة لم تتم بعد..

وهكذا يُتوج وليام، ومن يتوجه؟ والده المكسور الخاطر. وربما أراد المؤلف أن يسرّي عن المتعاطفين مع تشالز المهزوم من قبل حكومته وبرلمانه وابنيه وشعبه

بهذه اللقطة الأخيرة قبل وضع التاج على رأس ابنه، إذ يقلبه بين يديه وعندها يلاحظ أنه في وضعية معينة عبارة عن حلقه فارغة لا تفضي إلى شيء..

هذه المسرحية الكوميدية والتي تحاكي مسرحيات شكسبير (بلمسة تهكمية) لم تترك أحداً من شخصيات الأسرة الملكية الأبرز إلا ونالت منه، فالملكة وضع لها موعد وفاة، وتشارلز الذي تستخدم المسرحية صورة له وقد أُلجم فمه بلصقتين في إعلاناتها، شخصية انتظرت التاج طويلاً ثم أخفقت في الحفاظ عليه، وزوجة وليام أنانية وانتهازية، ووليام ابن ينصاع في النهاية لزوجته فيعق أبيه، وهاري تافه بلا شخصية ولا مبدأ..

عرضت مسرحية "الملك تشارلز الثالث" في لندن، عقر دار الملكة، ولا أجد ما أشيد به أكثر من صبر الأسرة المالكة وكونها مأمونة الجانب، هل هي حقاً لا تستطيع المغامرة، أم أنها حقاً تؤمن بالحرية الفكرية وإن طالتها مخالب هذه الحرية؟

السؤال هنا ليس ما إذا كان من حق الملكة أن تمنع مثل هذا العمل، أم لا، لأن التطرق إلى مثل هذا السؤال قد يثير الضحك في مثل هذا المجتمع، كما أن التطاول هنا ليس تطاولاً على الملكة وأسرتها.. التطاول الذي أعنيه هنا هو التطاول الأخلاقي واستغلال الحياة الشخصية لأناس بعينهم لنسج دراما من خلالها، بغض النظر عن كونهم أسرة حاكمة.. ولكن هذا السؤال يبدو أن الفكر الغربي تجاوزه منذ سنين عندما أصبح التطاول ليس على شخصيات حقيقية وحية ترزق فحسب بل وحتى على الأنبياء والذات الإلهية مقبولاً ما دام يقدم كرأي أو في إطارٍ فكري أو فني.. ولكن كون الغرب قد تجاوزه أو أزاحه من طريقه كما يزاح أي عائق لا يمنع من أنه لا يزال مطروحاً..

نشر بالملحق الثقافي للشرق القطري تحت عنوان "تطاول مسرحي" بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٥م